

التأويل في الإسلام⁽¹⁾

الأستاذ : ابراهيم بن حسن

ونحن إذا ما عرضنا أصحاب المدارس والمذاهب التي سندها تأويل آية القرآن نجدهم يترأون لنا من خلال عرضنا هذا كما يلي :

- فقهاء يجتهدون في تأويلهم الى استنباط واستنتاج الاحكام الفرعية في مجالي العبادات والمعاملات .

- وأصوليون يذهبون في تأويلهم الى ضبط الأدلة الشرعية التي منها تؤخذ الاحكام ، ومن صيغها تستمد احكام التكليف .

- ومتكلمون يرمون من وراء تأويلهم الى اقامة الأدلة والبراهين للذود عن العقيدة ورد الشبهات المثارة حولها ، وجعلها تتبع ظاهرة من أعماق القلب لتحلّق مشرقة الى سماء العقل ثم تعود منه صافية لتستقر مشرقة في رحاب القلب ؛ وبذلك يشترك القلب بعمقه وحرارته ، والعقل بوضوحه وصفائه في غرس العقيدة وتركيزها ، وفي ابرازها مجلوة صافية لا تكرر صفاءها الشبهة ولا تطمس معالمها الخرافات .

- وفلاسفة يطلبون بتأويلهم الوصول الى معرفة الحقيقة التي ينبع الوجود من بدايته الى نهايته - إن كانت له نهاية أو الى مصبه الذي فيه وعنده تتعانق البدايات بالنهايات فتصبح البدايات نهايات ، والنهايات بدايات ، وكلها من حيث لا بداية ولا نهاية تمثل حقيقة الوجود في تفاعله وترابطه ، وفي سيره المتلاحق الدورات . والمتعانق البدايات والنهايات من غير بداية ولا نهاية ، حسب منطلق الفلاسفة ومنهجهم في التطويل - وصوفيون ييغون بتأويلهم الوصول الى الصفاء الروحي ، والى رؤية الحق في تجليه وجلاله ، والى تذوق حلاوة المعرفة التي لا تكررهما المادة ولا تحجب عنهم أنوارها حجب الشهوات .

- وغيرهم من أهل العلم والمعرفة الذين يرمون من وراء تأويلهم الى دعم وتأييد وجهة نظرهم في ميادين اختصاصهم من : تاريخ وعلم اجتماع ومن

(1) ننشر فيما يلي الجزء الثاني والآخر من الدراسة التي أعدها الأستاذ ابراهيم بن حسن إلى الملتقى الدولي الثاني حول موضوع « التأويل » وهو تنمة للجزء الأول الذي نشرناه في العدد الرابع من هذه المجلة .

تاريخ طبيعى وجغرافيا ، ومن علم فلك وهياة ، ومن حساب وطبيعة ، وكيمياء ، ومن طب وتحليل نفسى ، ومن علوم لسانية وصولية ، ومن طريقة ترتيل وحسن أداء ، ومن مخارج حروف وأسلوب ايقاع . الى غير ذلك من مختلف الاختصاصات التي ينشد أصحابها دعمها وتأييد انظارهم فيها بتأويل القرآن الكريم .

وقد اجتمع اصحاب هذه المدارس والمذاهب ، والعلماء بمختلف علومهم وبعديد ميادين اختصاصهم في مدرسة جامعة كبرى وهي مدرسة التفسير . ولاختلاف انظارهم ولتنوع مناهجهم في التأويل ، وفي استنباط الأدلة والبراهين ، وفي توليد المعاني ، واستخراج الاحكام تعددت داخل مدرسة التفسير الكبرى مدارسهم التفسيرية المختصة التي اعتمدت التأويل في أوسع نطاق .

ولاتساع الحديث وترامي أطرافه سأقتصر على ذكر بعض المدارس وضرب أمثلة من تأويلها باختصار وإيجاز .

تفسير الفقهاء : نزل القرآن الكريم مشتملا على آيات من الاحكام الفقهية التي تتعلق بصالح العباد في دنياهم وأخراهم ، وكان الصحابة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام يتلقون بيان ما أشكل عليهم من الرسول مباشرة ولا يحتاجون الى الاستنباط والتأويل ، وبعد حياة الرسول الاكرم كانوا أحيانا يتفقون على الحكم ، وأحيانا لا يتفقون ، فيلجأون الى التأويل والاستنباط رائدهم في ذلك طلب الحق وحده ، فإذا ما تبين لأحد المخالفين بعد تأويله واستنباطه أن الحق فيما ذهب اليه مخالف رجع الى رأيه وأخذ به كالخلاف الذي وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت في تقسيم ميراث من مات عن زوج وأبوين ؛ فان ابن عباس - ض - افتى بأن للزوج النصف وللأم الثلث من كامل الشركة ، والباقي للأب ، تأولا منه للآية الحادية عشر من سورة النساء وهي قوله تعالى : « فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » أي من كامل التركة ، وزيد بن ثابت - ض - ومع بقية الصحابة افتوا بأن للأم ثلث الباقي بعد فرض الزوج تأولا منهم لنفس الآية نظرا إلى أن الأب والأم ذكر وأنثى ورثا بجهة واحدة إلى الأبوة فلذلك مثل حظ الأنثيين .

فهذا المنهج من التفسير وهو التأويل والاستنباط طلبا للحق وحده ورجوع أحد المتأولين للآخر اذا ما تبين له ان الحق فيما ذهب اليه مخالفه من تأويل استمر في عمل الفقهاء ، وفي طريقة تأويلهم من عهد الصحابة الى التابعين والى تابع التابعين الى عهد ظهور أئمة المذاهب الفقهية . تأويل واستنباط من غير

تعصب ولا تحامل بعضهم على بعض أقصى ما يتعاملون به للدفاع عما وصلوا إليه من تأويل واجتهاد قولهم : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب .

وبهذا حقق الفقهاء بواسطة مدرستهم الفقهية التفسيرية فلسفة تشريعية رجة الأرجاء ، واسعة الأبعاد ، لم يعرف البشر في مجال التشريع والاستنباط بواسطة الاجتهاد والتأويل المراد به الحق وحده مدرسة أوسع منها ، ولا أذكى عطاء من عطائها ، ولم يتوقف عطاؤها ، ولم تتوار تغطيتها للقضايا والاحداث الا عندما تخلى الفقهاء في عصر التقليد والجمود عن الاجتهاد ، وعن النظر والاستنباط ، وعن عمق التأويل واستقامة الاستنتاج ، واشتغلوا بالتعصب والتناحر المذهبي ، وبالتأويل الذي ابتغوا به الفتنة دعما لتعصبهم ، وتغذية لتناحرهم .

وفي عصرنا اليوم بعد التيه والضياع بشائرنا وهناك من العالم الاسلامي تنبئ بعودة الفقهاء وعلماء التشريع الى العطاء من غير تعصب ولا تناحر والى التأويل من غير ابتغاء الفتنة .

وتفسير علماء الكلام : في القرآن الكريم عديد من الآيات المتعلقة بذات الله وصفاته ، وبالرسالة والنبوة ، وبمآل الانسان في الحياة الأخرى ... وكثير من هذه الآيات جاء متشابها يحمل العديد من المعاني ، والعديد من أوجه التأويل ، وكثر حولها الجدل ، وتباينت التأويل ، وأبرز الفرق في هذا الجدل والتأويل هم المعتزلة ، وكان مرادهم في الجدل ، ومقصدهم من التأويل ، هو الدفاع عن العقيدة ، وتنزيه المولى عز وجل عن كل نقص ، وعن كل شبيه ، لكنهم أساءوا التأويل عندما خرجوا بجدلهم من دائرة طلب الحق في المجال الذي في مستطاع العقل الوصول إليه ، وعندما حكموا العقل تحكيما مطلقا ولو في غير مجاله ، وعندما انساقوا بجدلهم وبتحكيهم للعقل لمتاهات السياسة ، ولدروها الملتوية في منحدرات النفاق والدجل .

فالمعتزلة أقاموا مذهبهم على أصول خمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهم مفاهيم خاصة بهم حول هذه الأصول : وقد أخذوا القرآن سندا لهم في ابراز مفاهيمهم ، وفي الدفاع عنها .

والذي يقرأ تفسير المعتزلة يجدهم بنوا تفسيرهم على أسس من - التنزيه المطلق ، والعدل : حرية الارادة ، وفعل الاصلح ، ونحو ذلك ، ووضعوا منهجا لتأويل الآيات التي ظاهرها التعارض ، فحكموا العقل ليكون الفصل بين

المتشابهات . وفي تحكيمهم المطلق للعقل ، حتى خارج ميدانه برز تعسفهم في التأويل ، وخرجوا عن مسار الحق الذي كان مقصدهم وهدفهم الى مسار ابتغاء الفتنة واتباع الهوى .

قال القاضي عبد الجبار في تفسيره « تنزيه القرآن عن المطاعن » في قضية الهدى والضلال ما نصه : (مسألة) وربما قيل في قوله تعالى : « من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلّل فأولئك هم الخاسرون » أليس ذلك يدل على أنه يخلق الهدى والضلال ؟ وجوابنا المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ، ومن يُضِلُّ عن الثواب الى العقاب فأولئك هم الخاسرون في الدنيا ، وسبيل ذلك أن يكون بعثا من الله تعالى على الطاعة ، وكذلك قوله تعالى « من يُضِلّ الله فلا هادي له »⁽¹⁾ المراد من يُضِلُّه عن الثواب في الآخرة فلا هادي له اليه ، وإن كنا قد أرحنا العلة وسهّلنا السبيل الى الطاعة⁽²⁾ .

وفي قضية حرية الارادة وخلق الافعال نجد الزمخشري في تفسيره «الكشاف» يتهرّب من ظاهر نص الآية ، يتأولها حسب هواه ووفق مبدئه الاعتزالي فيقول في قوله تعالى من سورة آل عمران الآية الثامنة : « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد أن هديتنا » - لا تزغ قلوبنا - لا تبلىنا ببلايا تزغ فيها قلوبنا - بعد أن هديتنا - وارشدتنا لدينك ، أو لا تمنعنا الطافك بعد أن لطفت بنا .

وهذا التأويل من الزمخشري تماشيا مع مذهبه الاعتزالي القائل بحرية ارادة الاتساع ، وبخلق أفعاله بنفسه ؛ وهذا من الزمخشري فرار من ظاهر الآية الذي يدل على أن قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء فمن أراد الله هدايته هداه ، ومن أراد اضلاله أضله ، وهو ما يتمسك به أهل السنة المواجهون للمعتزلة .

ويذهب الزمخشري في تأويله الى مستوى التعصب المذموم ، وإلى ابتغاء الفتنة ، واتباع الهوى ، حيث يخرج خصومه السنين من دين الله الاسلام فيقول عند تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران الآية الثامنة عشر والتاسعة عشر « شهد الله ان لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الاسلام » : فان قلت : ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله بالحجة والبراهين القاطعة ، وهم علماء العدل والتوحيد - يريد أهل مذهبه المعتزلة - فان قلت : ما فائدة هذا التوكيد - يعني في قوله : « إن الدين عند الله الاسلام » - قلت : فائدته ان قوله : لا إله الا هو : توحيد ، وقوله : قائما بالقسط : تعديل ، فإذا أردفه بقوله : « إن الدين عند الله

الاسلام » فقد أذن أن الاسلام هو العدل والتوحيد ، وهو الذي عند الله ، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين ، وفيه أن من ذهب الى تشبيه أو ما يؤدي اليه كإجازة الرؤية ، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام ، وهذا بين جلي كما ترى⁽³⁾ .

فهذا التأويل من الزمخشري ؛ هل يمثل طلب الحق للوصول الى الحقيقة ، أو يمثل التعصب المذموم وابتغاء الفتنة ، اتباعا للهوى ، وانتصارا لمذهب الاعتقادي الذي لا يرى في غيره من المذاهب حقا ولا صوابا .

الجواب عن ذلك هو أن ابتغاء الفتنة والخروج عن مسار البحث العلمي غير المنحاز للمذهبية العمياء . وعن التأويل النزيه هو الذي قضى على المعتزلة وجعل مذهبهم تاريخا يقرأ كوجهة نظر عاشت فترة قصيرة من الزمن ثم انقرضت ؛ وإن كان هناك من حين لآخر من يريد اشعال نار الجدل من جديد لتعلات مختلفة ولكنه ينفخ في رماد لأن عصرنا اليوم تجاوز الجدل العقيم اللهم الاقله مازالت تحن الى نشر واحياء أسباب التمزق والتشتت في صفوف المسلمين حتى لا يعودوا الى المناعة والقوة ، والى الريادة من جديد .

● تفسير الصوفية : في القرآن ظاهر وباطن ، فالظاهر مجال التفسير ، والباطن مجال التأويل ؛ هكذا عند الصوفية قال عبد الرزاق القاشاني في تفسيره « تأويلات القرآن » : فتذكرت خبر من أتى ما ازدهاني ، مما وراء المقاصد والأمانى ، قول النبي الأمين الصادق - عليه افضل الصلوات من كل صامت وناطق : « ما نزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع » . وفهمت منه أن الظاهر هو التفسير والبطن هو التأويل ، والحد : ما يتناهى إليه المفهوم من معنى الكلام والمطلع : ما يصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام⁽⁴⁾ فأكثرهم الصوفية في تفسيرهم مُنْصَبٌ على المعاني الباطنية من القرآن التي هي مجال التأويل ، وقد بالغوا في الغوص في بحر التأويل حتى أهملوا المعاني المرادة بصدق من التنزيل .

وإمام مفسري الصوفية ، وشيخ طريقتهم فيه ؛ مجي الدين بن عربي (560 - 638 هـ) . وقد تأثر في تفسيره بالنظريات الفلسفية ، وخاصة نظرية وحدة الوجود الى مستوى يخرج بالآية من مدلولها الذي أراده الله تعالى . وبهذا كان تأويله لا من قسم ارادة الحق لإبراز الحقيقة ، بل من قسم ابتغاء الفتنة والارتقاء في احضان الحيرة ، ودروب المتاهات .

في تفسيره للآية الأولى من سورة النساء وهي قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية » يقول في تأويله لها :

اتقوا ربكم اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم ، واجعلوا ما بطن منكم - وهو ربكم - وقاية لكم ؛ فإن الأمر ذم وحمد ؛ فكونوا وقايته في الذم ، واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أدباء عالمين «⁽⁵⁾ .

ما أبعد القرآن في مبناه ومعناه عن هذا الالتواء في التعبير . وعن هذا التعقيد في المعنى ؛

وفي تفسيره للآيتين (23 و 30) من سورة الفجر وهما قوله تعالى :
« فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » يقول في تأويله لهما : وادخلي جنتي التي هي ستري ، وليست جنتي سواك ، فأنت ستري بذاتك الانسانية فلا أعرف الا بك . كما أنك لا تكون إلا بي فمن عرفك عرفني ، وأنا لا أعرف فأنت لا تعرف ، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك ، فتعرف نفسك معرفة أخرى غير التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها ؛ فتكون صاحب معرفتين : معرفة به من حيث أنت . ومعرفة به بك من حيث هو ، لا من حيث أنت ، فأنت عبد رأيت رباً ، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد ؛ وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد الخ⁽⁶⁾ .

هل هذا التأويل يمكن ان تتحمله لغة التعبير القرآني الذي هو قمة في سلامة النهج وعلو النظم ، ومعجزة في استقامة المعنى ، وفي دقة الإشارة ، وفي صدق الإيحاء ، وفي اشراقه التلميح .

وهل من التأويل الجاد المسلم عقلاً تأويل يذهب بصاحبه ، من أجل الانتصار لفكرة وحدة الوجود - الى الخروج عن وضوح الدليل ، وعن منطق الحق ، وعن صدق البرهان الى مستوى يختلط فيه الخالق بالخلق ، والأزلي بالحادث ، والباقي بالفاني وتنقلب فيه الحقائق المسلبة من العقل البشري العام ، الى أوهام وافتراضات ضبابية يصبح عندها الخالق مخلوقاً . والمخلوق خالفاً .

وأيضاً هل من التأويل المقبول عقلاً . تأويل يذهب بصاحبه الى ابطال الحقائق التي جاء بها القرآن ، الذي ينطلق منه الى تأويله ، ويتخذ سنداً الى ما يذهب إليه من رأي .

وكيف يقبل العقل تأويلاً لآية القرآن . يناقض بل يبطل ما جاء به القرآن ؟ فالقرآن يجعل الأرض وما فيها وما عليها من آيات ، والكون وما في أبعاده وأفاقه من دلائل وبيّنات ، والإنسان وما في ابداعه من رؤى مذهلة ومن تجليات ، فالقرآن يجعل في الجميع ومن الجميع - الكون والأرض والإنسان - آيات دالة على الخالق ، من وراء التأمل والتدبر في المخلوق ؛ « وفي الأرض

آيات للموقنين . وفي انفسكم افلا تبصرون ،⁽⁷⁾ . سنريهم آياتنا في الافاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ،⁽⁸⁾ .

فالنص القرآني يجعل الانسان آية من جملة الآيات الدالة على الخالق الذي
« ليس كمثله شيء »⁽⁹⁾ حيث لا تشابه ولا تداخل بين الخالق والمخلوق .

والتأويل الذي ذهب اليه ابن عربي - توضيحا منه لفكرة وحدة الوجود التي
يريد تقريرها في الازهان ، يتداخل فيها معنى الربوبية في معنى العبودية ،
ومعنى العبودية في معنى الربوبية في معنى العبودية ، ومعنى العبودية في معنى
الربوبية تداخلا يجعل منهما شيئا واحدا لا يدركه الا الصوفي في غيبوبته
وسيحاته التي تختلط فيها الأشياء اختلاطا تولدت عنه مقولات عائمة في بحر من
الالتواءات من حيث المبنى والمعنى مثل المقولة التي تقدم ذكرها عند تفسيره
وتأويله لقوله تعالى « فادخلي في عبادي وادخلي جني » ومثل المقولة التي فسرها
آية 191 من سورة آل عمران حيث يقول في تأويله لها ، وهي قوله تعالى : « رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا » أي شيئا غيرك فإن غير الحق هو الباطل . بل جعلته
اسماءك ومظاهر صفاتك « سبحانه » ننزهك أن يوجد غيرك ، أو يقارن شيء
فردانيتك ، أو يُثني وجدانيتك ومعنى هذا التأويل : هو ان هذا الكون الذي
نشاهد وجوده جعل الله اسماء ومظاهر صفاته ، واسماء الله وصفاته ليست
الا الله ، فهذا الكون المشاهد ما هو الا الله من حيث تجليه لنا بأسمائه
وصفاته .

فابن عربي في مقولته هذه ذهب في تأويله الى تقريب وحدة الوجود التي
معناها : الله هو الكون ، والكون هو الله : لأن الموجود حقا هو الله ، ولا وجود
بحق لغيره ، وفي المقولة السابقة ذهب في تأويله الى تقرير هذا المعنى بمنهجية
أخرى وهي ان يجعل معرفة الله تنبع من الانسان وتصب فيه فانه لا يُعرف الا
بالانسان ، والانسان لا يكون الا بالله ، معادلة بين معنى أن يكون الله
معروفا ، ومعنى ان يكون الانسان عارفا ، والنتيجة لولا الانسان الذي منه
تنبع معرفة الله لما كان في الوجود باطنا يسمى الله ، وظاهر يسمى الانسان .
وهما شيء واحد كمرآة عاكسة لجميع صور الكائنات .

وهذا التأويل بعيد كل البعد عن النص القرآني الذي يعتبر الانسان في
معرفة الله ، من حيث أصل المعرفة - كسائر الكائنات المدركة لخالقها .
والعارفة به . ولكن لكل نوع من انواع الكائنات وسائله في الادراك والمعرفة التي
يسمونها التعبير القرآني « التسبيح » : « تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ »⁽¹⁰⁾ ، « ألم

تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه» (11) «هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم» (12) .

ومعنى التسبيح في لغة القرآن ، وفي لغة السنة النبوية المبينة له : التتزيه والتعظيم والتقديس ، فالله مقدس في جلاله ووحدانيته ، ومُنَزَّه عن كل نقص . والكون وما فيه ومن فيه متَّصف بالنقص ، ويسعى الى الكمال ليقترّب من ادراك الكمال المطلق الذي هو إلهه وربّه وخالقه . ومن هذا المنطلق فهل العقل بعمق تأمله ، وببعد ادراكه يسلم في سبيل تقرير وحدة الوجود أن يكون الكامل المطلق هو نفس الناقص ، والناقص هو عين الكامل المطلق ، أو يسلم بأن الصانع عين المصنوع ، والمصنوع عين الصانع وفي النهاية هما شيء واحد فالكون هو الله في تجليه بسائر صفاته والله هو الكون في كنهه وحقيقته ، وبهذا ينتهي العقل - رغم ضبابية الافتراض ، وسفسطائية الدليل ، الى الايمان بما لا يسلم به ، وهو وحدة الوجود . فهذه الأمثلة من تفسير ابن عربي ، وهو شيخ الطريقة التفسيرية للصوفية تمثل اغراقه وتعسفه في تأويل الآيات القرآنية ، محاولة لاستنباط نظرية وحدة الوجود منها ، واتخاذها دليلاً وسنداً لتقرير هذه النظرية . وهو مراد بعيد عما أراده الله ، وعن مدلول ما خاطب الله به عباده بواسطة آيات تنزيله .

فهذا النوع من التأويل لا يسلمه العلماء الراسخون في العلم الذين عناهم الله في قرآنه . لأن التأويل الحق الذي يوصف بتأويل الراسخين في العلم هو التأويل الذي لا يتنافى ولا يتناقض مع النص القرآني في مبناه ومعناه . تفسير الفلاسفة : القرآن فتح أبواباً عديدة لكافة الناس ، وخاصة للمسلمين وذلك للبحث والتأمل والاستنتاج ، وللنظر والتدبر والاعتبار ، وللتفلسف والغوص في ابعاد عالم الغيب والشهادة ، عساهم يكتشفون الحقيقة ، ويدركون الوجود ، ويبصرون جمال الحق ، وروعة الجمال ، للوصول الى معرفة الله من وراء معرفتهم للكون والحياة والانسان . دخل العلماء هذه الابواب فتأملوا وتدبروا واستنتجوا ومازالوا يتأملون ويتدبرون ويستنتجون .

ودخل اليها الفلاسفة بأعمق مما عند العلماء ، وبأبعد نظرة وأوسع مجال ؛ ولكنهم استعملوا مفاتيح غير اسلامية ، فأساءوا منهج البحث ، واخطأوا مسلك التأويل حيث غاب عنهم أو غيبوا عن عقولهم وعن منطلق تأملهم أن القرآن مم فتحه الابواب لهم لم يتركهم للحيرة تقودهم حيث شاءت ولا للسراب

« يحسبه الضمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً »⁽¹³⁾ بل أخذ بأيديهم فهداهم الى طرق البحث ، ومسالك النظر ، والى الابعاد التي بإمكانهم الوصول اليها بما عندهم من وسائل المعرفة ، وقوى الإدراك . حتى لا يتيهوا في دروب البحث ، وتتلاشى قواهم الادراكية في متاهات الابعاد ، وخاصة في المجالات التي لا يستطيع الانسان أن يصل اليها بعقله المجرد .

فالفلاسفة الاسلاميون عندما اتجهوا الى القرآن واستعملوا جهدهم وعبقريتهم في تأويل آياته ، لو دخلوا الابواب التي فتحتها لهم القرآن بمفاتيح اسلامية لكانوا فلاسفة اسلاميين بحق ، وخلدوا في تاريخ الحضارة الانسانية فلسفة اسلامية صرفة يعتز بها المسلمون من غير شوائب ولا مركبات .

ولكنهم دخلوها بمفاتيح أجنبية حيث عشقوا الفلسفة اليونانية بالأمس كما يعشق ابناؤنا الدارسون للفلسفة ؛ الفلسفة الغربية المتولدة عنها اليوم - فحكم فلاسفتنا القدامى الفلسفة اليونانية وما تولد عنها من افكار وآراء في النصوص القرآنية فانطلقوا الى القرآن من الفلسفة مع ان المطلوب منهم - لو أرادوها فلسفة اسلامية بحق - ان ينطلقوا من القرآن الى الفلسفة ، وبتغييرهم وجهة الانطلاق أساءوا تأويلهم للآيات .

وحتى عندما كرّس بعضهم جهده وعبقريته في التوفيق بين الفلسفة اليونانية والقرآن أضاع جهده ، وأساء التأويل - رغم عبقريته التي لا تجد ، وعمق تفكيره الذي لا ينكر - اذ كيف يقع التوفيق ويُسلم به . بين فلسفة صنعها الانسان محدود العقل ، مقيدا بالزمان والمكان ، قاصرا في ادراكه لعالم المشاهدة لا يتيقن شيئا من عالم الغيب الذي كل الحقائق والابعاد فيه . وبين قرآن هو من خالق الكون ومبدع الانسان الذي « لا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين »⁽¹⁴⁾ . وللتدليل على ان الفلاسفة الاسلاميين عندما حكموا النظريات الفلسفية اليونانية في النصوص القرآنية أساءوا التأويل اذكر مثالين :

الأول للفارابي (ت 339 هـ) فقد جاء تفسيره للآية الثالثة من سورة الحديد « هو الأول والآخر » تفسيراً أفلاطونيا مبنيا على القول بقدم العالم فيقول : ان الأول من جهة أنه منه ، ويصدر عنه كل موجود لغيره ، وهو أول من جهة أنه أولى بالوجود لغاية قربه منه . أول من جهة ان كل زمانٍ ينسب إليه بكون ، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء ، ووجد إذ وجد معه لافيه : هو أول لأنه اذا اعتبر كل شيء : كان فيه أولا : أثره ، وثانيا قبله لا بالزمان ؛ هو آخر لان الاشياء اذا لوحظت ونسبت اليه أسبابها ومبادئها وقف عنده

المنسوب ؛ فهو آخر لأن الغاية الحقيقية في كل طلب ؛ فالغاية مثل السعادة في قولك : لم شربت الماء ؟ فتقول : لتغيير المزاج ؛ فيقال : ولم أردت أن يتغير المزاج ؟ فتقول : للصحة . فيقال : لم طلبت الصحة ؟ فتقول للسعادة والخير . ثم لا يورد عليه سؤال يجب أن يجاب عنه ؛ لأن السعادة والخير يطلب لذاته لا لغيره فهو المعشوق الأول ، فلذلك هو آخر كل غاية ؛ أول في الفكر ، آخر في الحصول ، هو آخر من جهة أن كل زمان يتأخر عنه ، ولا يوجد زمان متأخر عن الحق⁽¹⁴⁾ والثاني لابن سينا فقد جاء في تفسيره للآية السابعة عشر من سورة الحاقة وهي قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » مسلك وتأويل مستمد من فلسفة أرسطو قال : وأما ما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من قوله (يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » فنقول : - أن الكلام المستفيض في استواء الله تعالى على العرش ؛ من أوضاعه : أن العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية ، وتدعي المشبهة من المشرعين أن الله تعالى على العرش لا على سبيل حلول . هذا وأما في الكلام الفلسفي فانهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الافلاك ، ويذكرون أن الله تعالى هناك ، وعليه لا على حلول ، كما بين أرسطو في آخر كتاب .. ساعة الكيان .. والحكماء المشرعون اجتمعوا على أن المعنى بالعرش هو هذا الجرم . هذا وقد قالوا : أن الفلك يتحرك بالنفس : لأن الحركات اما ذاتية ، وأما غير ذاتية ، والذاتية اما طبيعية ، وأما نفسية ، ثم بينوا أن نفسها هو الناطق الكامل الفعال . ثم بينوا أن الافلاك لا تقنى ولا تتغير أبد الدهر ، وقد ذاع في الشرعيات أن الملائكة احياء قطعاً لا يموتون كالانسان الذي يموت ؛ فاذا قيل أن الافلاك احياء ناطقة لا تموت ، والحي الناطق الغير الميت يسمى ملكا . فالافلاك تسمى ملائكة . فاذا تقدم هذه المقدمات وضح أن العرش محمول على ثمانية ، ووضح تفسير المفسرين انها ثمانية افلاك .

والحمل يقال على وجهين : حمل بشري وهو اولى باسم الحمل كالحجر المحمول على ظهر الإنسان ، وحمل طبيعي كقولنا الماء محمول على الأرض ، والنار على الهواء ، والمعنى هنا الحمل الطبيعي لا الأول ، وقوله : يومئذ والساعة والقيامة . فالمراد بها ما ذكره الشارع : أن من مات قامت قيامته ، ولما كان تحقيق النفس الانسانية عند المفارقة أكد جعل الوعد والوعيد وأشباهما الى ذلك الوقت⁽¹⁵⁾ .

ولو ناقشنا هذه المقولة ، وبيننا ما فيها من تداخل الانظار من ناحية ، ومن تجاوز وتعسف في التأويل لما يراد من الآية من ناحية اخرى .

فمن حيث تداخل الانظار ماذا يريد ابن سينا من قوله : « وتدعي المشبهة من المشرعين أن الله تعالى على العرش لا على سبيل مثال ؛ ومن قوله (وأما في الكلام الفلسفي فانهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الافلاك ، ويذكرون أن الله تعالى هناك ، وعليه لا على حلول) . هل يريد أن ما انتهى إليه الفلاسفة في انظارهم هو نفس ما قاله المشبهة من المشرعين : اذ لا فرق من حيث النتيجة بين مقولة : الله على العرش لا على سبيل مثال ؛ ومقولة الله في فلك الافلاك ، وعليه لا على حلول ؟

ومن حيث التجاوز والتعسف في التأويل فقد حاول ابن سينا في تأويله أن يجعله النقاء بين ما ذاع في الشرعيات - حسب قوله - حول الملائكة المتصفة بدوام الحياة ، وعدم الموت ؛ وما تقوله الفلاسفة عن الافلاك من انها لا تنفنى ولا تتغير ابد الدهر ، فهي أحياء ناطقة لا تموت ، وبذلك يكون الخلاف في التسمية فقط ؛ فهؤلاء يسمونها افلاكاً . وأولئك يسمونها ملائكة . وهو تأويل يبعدنا عن المعنى المراد من الآية ، ويخرجها من اطارها الموجود فيه ، من النص القرآني وهو قوله تعالى - واصفا نهاية الكون وما ينتظر الانسان خلف هذه النهاية - : « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » (16) .

ما أروع التصوير القرآني ، وما أحكم نسجه ، وما أحلى نظمه . وضوح في جلال وروعة ، وصفاء في انطلاق رؤية ، وإشراق في اتساع أبعاد ، وهذا ما لا يقبل التجاوز ولا التعسف في التأويل . ولهذا أعود فأقول لوناقدنا وبيننا ما في مقولة ابن سينا من تداخل وتعسف في التأويل لطالت المناقشة ، وتشعب البيان ، فأكتفي بما أوجزت من اثارة ، ومن تساؤل .

وعلى منهج ابن سينا في التأويل ما نجده عند اخوان الصفا حيث يعتقدون ان القرآن ما هو الا رموز للحقائق البعيدة عن اذهان العامة ويقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر خواص أمته بما جاء به واعتقده بالتصريح في السر والعلن غير مرموز ولا مكتوم . ثم يشير اليها ويرمز عنها عند العوام بالالفاظ المشتركة والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور وتقبلها نفوسهم » (17) . ومن أسلوبهم في التأويل انهم يفسرون الملائكة بانها كواكب الافلاك فيقولون : ان كواكب الفلك هم ملائكة الله . وملوك سمواته خلقهم الله تعالى

لعمارة عالمه وتدبير خلأئقه . وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله في افلاكه كما ان ملوك الأرض هم خلفاء الله في أرضه⁽¹⁸⁾ .

وبهذه الرؤية فهم يرون : أن نفس المؤمن بعد مفارقة جسدها تصعد إلى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة ، وتحیی بروح القدس وتسبح في فضاء الافلاك في فسحة السموات فرحة مسرورة منغممة متلذذة مكرمة مغتبطة . ويقولون : ان ذلك هو معنى قول الله عز وجل في الآية العاشرة من سورة فاطر « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »⁽¹⁹⁾ .

وبهذا الأسلوب من التأويل يشرح اخوان الصفاء الشياطين ، شرحا فلسفيا بحثا لا يتفق مع ما جاء به الدين ، ومع ما استنتجه العلماء الراسخون في العلم من تأويلهم للنص القرآني . فيقولون : إن الله أشار الى النفوس ووساوسها بقوله في الآية (112) من سورة الانعام « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » فشياطين الجن هي النفوس المفارقة الشرييرة التي قد استجنت عن ادراك الحواس ، وشياطين الانس النفوس المتجسدة المستأنسة بالأجساد⁽²⁰⁾ .

ثم يقولون : امثال هذه النفوس التي ذكرناها ، هي شياطين بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل⁽²¹⁾ .

وغير ذلك من تأويلهم العديدة لآيات القرآن الكريم حسب منهجهم ورؤيتهم التي بها يحاولون جعل القرآن تابعا للنظريات الفلسفية ومؤيدا لها . وهو منهج بعيد كل البعد عن منهج العلماء الذين عناهم القرآن بقوله « والراسخون في العلم » .

وبهذا كان التفسير الصوفي والفلسفي ، والباطني الذي سأذكر أمثلة منه ، يبتعد بتأويله الذي هو من نوع الرمزي والإشاري ، أو الباطني عن التأويل الجاد الذي اعتمده العلماء الراسخون في العلم ، المجتهدون في ابراز وتجليه مراد الله في آياته الى الناس ، وذلك في اطار السعي وراء معرفة الصواب المقرب من الحقيقة ، والمؤدي الى الحق ، اعتمادا على منهجهم ورؤيتهم المنطلقة من ايمانهم بما يرشد ويهدي اليه قوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » .

وتفسير الباطنية : وأسوأ نوع من التأويل ، وأبعده عن طريق الحق والرشد وعن منهج العلماء والمفسرين هو ما جاء في فقرات مقطعة ومتناثرة هنا وهناك لتفسير بعض الآيات من القرآن للفرقة الباطنية التي أرادت من تأويلها نشر مذهبها المحارب للاديان بصفة عامة وللدين الاسلامي بصفة خاصة ، وترويج

مبادئها الضالة في عقول البسطاء من الناس ، لتكثير اتباعها من السذج حتى تتمكن من غسل امخاخهم وجعلهم أداة طيعة تخدم بهم اغراضها ، وتصل بطاقتهم المادية العمياء الى تحقيق أهدافها وغاياتها .

فالطائفة الباطنية هي من حيث مقصدها الباطني وما تسعى اليه من احلال مبادئ التحلل والالحاد ، عوض التزام طريق الحق والايمان . لا يمكن ان تكون داخلة في عداد طوائف المسلمين ، وانما هي في الأصل جماعة من المجوس رأوا ان الاسلام غلبهم عن أمرهم . وانقذ الناس من ضلالهم وأفكهم ورأوا أن لا قدرة لهم على مواجهة قوة الاسلام المادية والروحية زمن مدة واندفاع تياره ، واشعاع نور هدايته ، سلخوا لمحاربته طريق الاحتيال والمكر - وهو طريقهم دائما لاختفاء نواياهم الحقيقية ، وتمرير مبادئهم وأهدافهم الالحادية - فاندسوا بين المسلمين باسم الحذب على الاسلام وتستروا بالتشيع والموالاة لآل البيت ، وتظاهروا بالورع الكاذب وجعلوا ذلك سلما لما يريدون أن يبذروه بين المسلمين من بذور الفساد والاضطراب في مجال العقيدة . وفي ميدان السياسة .

ولكن ادركوا ان هناك ما يفسد عليهم خطتهم ، ويقف حائلا بينهم وبين تحقيق اهدافهم واغراضهم ، وهو القرآن بما فيه من هدي موجه مرشد ، ومن عقيدة صافية مشرقة ، ومن تشريع محكم ينظم للناس جميعا وللمسلمين خاصة جوانب السير في الحياة على هدي وبصيرة .

فما دام القرآن موجودا بين المسلمين ، ومحفوظا عندهم ، يرجعون اليه في أمور الدين ، ويهتدون بهديه في قضايا الحياة ومشاكلها . فليس من السهل صرف الناس عنه الا بواسطة تأويله .

وحرصا منهم على ان تكون دعواهم في تأويل القرآن مقبولة لدى من يستحقونهم قالوا : (إن الأئمة هم الذين أودعهم الله سره المكنون ، ودينه المخزون ، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر ، وأسرار هذه الأمثلة ، وإن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع الى القرآن وأهل البيت ، ولذلك قال عليه السلام - لما قيل : ومن أين يُعرف الحق بعدك ؟ - : « ألم أترك فيكم القرآن وعترتي ؟ » . وأراد به اعقابه فهم الذين يطلعون على معاني القرآن)⁽²²⁾ ودعما لهذا القول ، وتأييدا لما ذهبوا اليه من رأي قالوا : القرآن ظاهر وباطن ، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ، ونسبة الباطن الى الظاهر كنسبة اللب الى القشر ، والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة في الكتاب ، وباطنه مؤد الى ترك العمل بظاهره وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى في الآية الثالثة عشر من

سورة الحديد « فُضِرَبَ بينهم بسورله بات باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب »⁽²³⁾ وما أبعد هذا التأويل عن طريق الحق ، وعن المنهج العلمي السليم ؟

فالآية واردة في شأن من شؤون الآخرة وما سيلاقيه المؤمنون من نعيم ، وما سيلاقيه المنافقون من عذاب اليم ، والمستفاد ذلك من الآية المذكورة ومن الآية السابقة لها وهما قوله تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » .

فالباطنية يقسميهم : المتقدمين منهم الذين أسسوا المذهب والذين عايشوهم ونصروهم ، والمتأخرين منهم : البابية والبهائية ، ومن يسبح في فلكهم من المخربين الملاحدة ، غرضهم الأول الذي تقوم عليه دعوتهم الباطنية وتتركز فيه ، هو العمل على هدم الشرائع الدينية عموماً ، وهدم شريعة الاسلام على الخصوص ، واحلال مجوسيتهم ومبادئها محلها .

وأقوى معول وأصلبه - في نظرهم - يعينهم على تنفيذ غرضهم هو التأويل من بابه الواسع غير المقيد بحق ، ولا الخاضع لمنطق ؛ والميل بالآيات القرآنية ، بواسطته - الى غير المراد منها ، حتى وان أدى بهم تعسفهم وهذيانهم في التأويل الى طمس معالم القرآن الدالة على معاني آياته ، والموضحة لابعادها . والتي من شأنها لا تطمس ، والى اطفاء انواره المبينة لمراده وأهدافه والله من جواهرها وكنهها لا تنطفي .

ولكنهم كانوا سخفاء واغبياء في تأويلهم هذا ، ولم يرج ما رموا اليه الا على من هو مهياً بطبعه الى قبول عطاء السخافة والغباء .

ومن تأويلهم الذي يجعلني في حل من وصفهم بالسخافة والغباء ، ولا يترك الغير يتهمني بالتحامل والتعصب الأمثلة التالية :

فمن أمثلة تأويل القدامى منهم لمحاربة ما جاء به القرآن من عبادة أنهم أولوا الكلمات الاصطلاحية الخاصة بها ، وجعلوها عناوين على مبادئهم المذهبية المنحرفة فقالوا : (الوضوء) عبارة عن موالاة الامام . و (التيمم) هو الأخذ من المأذون عنه غيبة الامام الذي هو الحجة ، و (الصلاة) عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى في الآية خَمْسٍ وأربعين من سورة العنكبوت : « إن الثلاثة تنهى عن الفحشاء والمنكر » و (الغسل) تجديد العهد ممن أفشى

سرا من أسرارهم من غير قصد . وافشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى (الاحتلام) و (الزكاة) عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين ، و (الكعبة) النبي و (الباب) علي و (الصفاء) هو النبي و (المروة) علي و (الميقات) الايناس و (التلبية) اجابة الدعوة و (الطواف بالبيت سبعا) موالاة الأيمة السبعة - أي أيمة الاسماعلية - و (الجنة) راحة الابدان من التكليف ، و (النار) مشقتها بمزاولة التكليف⁽²⁴⁾ .

ومن تأويلهم في هذا المجال انهم قالوا : من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله تعالى في الآية تسعة وتسعين من سورة الحجر : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وحملوا اليقين على معرفة التأويل .

ومن أمثلة تأويل الجدد منهم : التفسير المنقول عن البابية والمنسوب الى زعيمهم الذي ابتدع نحلة البابية ، وهو ميرزا علي محمد الملقب بالباب والباب عند الشيعة معناه نائب المهدي المنتظر . فقد جاء في تفسيره لسورة يوسف عليه السلام ما يدل على تلاعبه بالقرآن ، وبعقول تابعيه المغرورين به حيث قال في تأويله للآية الرابعة « إن قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » ما نصه : (وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول ، وثمره البتول ، حسين بن علي بن ابي طالب مشهودا .. ان قال حسين لأبيه يوما : اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم بالاحاطة على الحق لله القديم سجادا ... وان الله قد أراد بالشمس فاطمة ، وبالقمر محمدا وبالنجوم أيمة الحق في أم الكتاب معروفا ، فهم الذين سيكون على يوسف بإذن الله سجدا وقيامًا)⁽²⁵⁾ .

وكذلك التفسير المنقول عن البهائية . والمنسوب الى الزعيم الثاني للبابية وهو ميرزا حسين علي الملقب ببهاء الدين واليه تنسب الطائفة البهائية فمن تأويله السخيف أنه يرى أن ما ورد في القرآن من السراط ، والزكاة والصيام ، والحج ، والكعبة ، والبلد الحرام ، وما الى ذلك كله لا يراد به الظاهر ، وانما يراد به الأيمة : وفي هذا يقول في الكتاب (أي في الكتاب المنسوب اليه) : (قال أبو جعفر الطوسي : قلت لأبي عبد الله : انتم الصراط في كتاب الله ، وانتم الزكاة ، وانتم الحج ؟ قال : يا فلان نحن الصراط في كتاب الله عز وجل ، ونحن الزكاة ، ونحن الصيام ، ونحن الحج ، ونحن الشهر الحرام . ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ، ونحن وجه الله)⁽²⁶⁾ - ألا يُوصف هذا النوع من التأويل بالسخافة والغباء ؟ - ويفسر البهائية الجنة بالحياة الروحية . والنار بالموت الروحاني ، فقد جاء في كتاب « بهاء الله والعصر

الجديد » : (ان الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة) فالجنة ترمز الى حياة الكمال ، والنار ترمز الى حياة النقص ، ولما كانت الحياة الروحية في نظر البهاء هي الايمان به . والموت الروحي هو تكذيب دعوته فاننا نراه يقرر ذلك فيقول : (... منهم من قال : هل الآيات نزلت ؟ قل إي ورب السموات : قال : أين الجنة والنار ؟ قل : الأولى لقائي ، والأخرى نفسك يا أيها المشرك المرتاب)⁽²⁷⁾ بهذا التأويل السخيف المراد به هدم الشرائع عموماً . وشرعية الاسلام على الخصوص ؛ حكم علماء الاسلام الذائدون عن كتاب الله وعن سنة رسوله المفسرة لكتاب الله ، والمؤولة لما خفي من معانيه واشاراته حكموا على الباطنية بالكفر والاحاد لأنهم ارادوا بتأويلهم عن قصد وعمد اثاره الفتنة ومحاربة الدين ، ولأن مذهبهم في التأويل مقام على دعاوي لا تنبني على شيء من العلم الصحيح ، بل تهدف الى تعطيل الشريعة ، وحمل المغرورين على انكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة بواسطة تأويلهم المنحرف عن طريق الحق ، والهادف الى التحلل والتخلص مما جاءت به الشريعة من تكليف من مثل قولهم حول تفسيرهم لقوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين »⁽²⁸⁾ أن تأويلهم ومعناه المراد : استقيموا لله ، وطهروا انفسكم بالاخلاق الحسنة وكونوا خاضعين . وليست هناك صلاة شرعية ، ولا زكاة شرعية ، ولا سجود ولا ركوع .

وبما تقدم بسطه وبيانه يتضح أن التأويل في الاسلام له مسلكان : مسلك العلماء الذين يخشون ربهم ، ويذللون ما في وسعهم للوصول الى الحق وتوضيح مراد الله الى الناس وهو مسلك ؛ مجاله مفتوح دائماً وباستمرار للعلماء الراسخين في العلم المتحلين بالتقوى فيما بينهم وبين الله تعالى ، وبالتواضع فيما بينهم وبين الناس ، وبالزهد فيما بينهم وبين الدنيا ، وبالمجاهدة فيما بينهم وبين نفوسهم ، والعلماء الباحثون في عصرنا اليوم من ابناء المسلمين مدعوون بالحاح الى سلوكه عساهم يستعينون بالتقدم العلمي وباكتشافاته العملاقة التي لا تقف . الى اكتشاف ما في القرآن الكريم من أبعاد لم يصل الى اكتشافها أسلافنا من قبل ، وذلك لأن عطاء القرآن لا ينضب معينه ، ومده لا ينتهي عطاؤه ، وأبعاده لا تحد من حيث اتساع آفاقها التي تسبح في ارجائها عوالم الغيب والشهادة .

ومسلك الذين يبتغون الفتنة ، ويحاربون الحق ، وينشرون الضلال ويزرعون الحيرة لحمل الناس على اتباع مذاهبهم الباطلة ، ونحلهم المنحرفة ، استجابة للهوى الآثم ، وللشهوات الهابطة . وهو مسلك ننصح ابناءنا المقبلين

على البحث ومناهج التأويل ، وعلى الانتاج وسبل العطاء ، ان لا يسلكوه - بعنوان حرية البحث . واختلاف الانظار - ، لأن القرآن لا يقبل هذا المسلك من التأويل ، ويفضح من يسلكه ، ويتركه منغوتا بالسخافة والغباء ، وبالخروج عن جادة الصواب ، وطريق الحق . وذلك لأن القرآن محمي بذاته حيث يفسر بعضه بعضا ، ومحمي ببيان السنة النبوية لما خفي من معانيه ولما يحجب من أبعاده ، ومحمي ايضا بالمجهود الضخم الذي عز نظيره في دنيا الناس ، والذي قام به العلماء الراسخون في العلم . وغطوا به آياته تفسيرا وتأويلا .

وهذا التقسيم لمسلكي التأويل في الاسلام : هو ما يستنتج ويستفاد من قوله تعالى - مخاطبا نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام ، وموجهها امته الى معرفة التأويل الذي يمثل الحق ، ويستجيب لمنهج اليقين ، والتأويل الذي يمثل الباطل ، ويستجيب لهوى النفوس الهابطة ، وسخافة التفكير - : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب » .

الهوامش

- (1) سورة الاعراف آية 178 .
- (2) سورة الاعراف آية 186 .
- (3) « تنزيه القرآن عن المطاعن ، للقاضي عبد الجبار ، تفسير سورة الاعراف ص 140 .
- (4) الكشف ج 1 ص 297 .
- (5) التفسير والمفسرون للمذهب ج 3 ص 69 .
- (6) النصوص ج 1 ص 50 .
- (7) النصوص ج 1 ص 131 - 132) (من كتاب التفسير والمفسرون - للذهبي) ج 3 ص 8 .
- (8) سورة الداريات آيتا 20 و 21 .
- (9) سورة فصلت آية 53
- (10) سورة الشورى آية 11
- (11) تفسير ابن عربي ج 1 ص 141 .
- (12) سورة الاسراء آية 44
- (13) سورة النور آية 41
- (14) سورة الحشر آية 24 .
- (15) سورة النور آية 39 .
- (16) سورة سبأ آية 3
- (17) نصوص الحكم ص 170 - 175
- (18) رسائل ابن سينا ص 18 - - 129
- (19) سورة الحاقة آيات 13 - 18
- (20) رسائل اخوان الصفا ج 4 ص 185 مطبعة نخبة الاخبار سنة 1306 هـ
- (21) رسائل اخوان الصفا ج 1 ص 98 المطبعة العربية سنة 1928 م
- (22) رسائل اخوان الصفا ج 4 ص مطبعة نخبة الاخبار سنة 1306 هـ .
- (23) رسائل اخوان الصفا ج 40 ص 172 مطبعة نخبة الاخبار سنة 1306 هـ
- (24) رسائل اخوان الصفا ج 40 ص 174 مطبعة نخبة الاخبار سنة 1306 هـ .
- (25) كتاب فضائح الباطنية ص 1 (عن كتاب : التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 238 .
- (26) كتاب المواقف ج 8 ص 388 (عن كتاب التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 240 .
- (27) المواقف ج 8 ص 390 (عن كتاب : التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 241
- (28) مفتاح باب الابواب : ص 309 (عن كتاب التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 266 .
- (29) الكتاب ص 83 .
- (30) الكتاب أي كتاب بهاء الدين ص 97 (عن كتاب : التفسير والمفسرون للذهبي ج 2 ص 267
- (31) البقرة آية 43 .